

حديث صحافي لجلالة الملك مع «مجلة العالم»

تحدث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني إلى السيد تيري دومونبريال مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ورئيس قسم العلوم الإقتصادية بمديرية البوليتيكنيك.

وقد نشر هذا الحديث في المجلة الشهرية الفرنسية (لاروفي دي دوموند) بعددها الصادر في شهر أبريل، ويعود صدور هذه المجلة إلى سنة 1829.

وفيما يلي نص الحديث :

سؤال — إنني أود يا صاحب الجلالة أن أطرح عليكم أسئلة تتعلق بالمشاكل الكبرى التي يعرفها العالم حالياً، ولكنني أود في نفس الوقت أن أعود من حين لآخر حسب سياق الحديث إلى مشاكل أخرى مباشرة، إن سؤالي الأول يتناول أوربا وعلاقاتها مع المغرب العربي، فقد ركز العديد من المعلقين وخصوصاً في الولايات المتحدة خلال السنوات الأخيرة على أفول أوربا، فهل ترون جلالتكم أن أوربا وفرنسا بصفة خاصة في حالة انحطاط ؟

جواب : إن لفظة الإنحطاط شيء خطير، فالكلُّ يتحدث عن الصدمة البترولية الأولى والصدمة البترولية الثانية، فهل نسينا الصدمات المتوالية والمتكررة التي عانت منها أوربا منذ نهاية القرن الثامن عشر ؟

إنني لن أشير هنا إلا إلى الثورة الفرنسية التي يبدو لي أنها كانت ثورة فرنسية محضة، فإذا كانت هذه الثورة قد جاءت بتغييرات فإن ذلك لم يمس إلا الهياكل السياسية والإجتماعية الفرنسية، فهذه الثورة لم تؤد إلى انقلاب عام في الأوضاع على المستوى الأوربي كما كان بالإمكان أن ينتظر منها، فإنكلترا كانت قد عرفت ثورات متوالية بينما كانت هولندا وبلجيكا منقسمتين على نفسيهما بين الإمبراطورية الألمانية والنفوذ الإسباني، أما إيطاليا فلم تكن موجودة بعد كدولة بينما كانت ألمانيا تبحث عن نفسها.

فهذه الصدمات المتوالية بدأت مع عهد الإمبراطورية الأولى التي غيرت الخريطة الجغرافية الأوربية وفككت الأحلاف القائمة لتقيم مكانها أحلافاً أخرى، ولكن كانت هناك أيضا الثورة الصناعية الإنجليزية، والثورة الإشتراكية التي شهدتها فرنسا سنة 1848، واستقلال أمريكا، والوحدة الإيطالية، وأخيراً كانت هناك كذلك مختلف الإكتشافات العلمية التي هزت القرن التاسع عشر، لهذا فإنني لا أعتقد أن أوربا في انحطاط، فهي بصدد تجاوز بعض الصدمات السابقة.

سؤال — فإذا كنتم ترفضون لفظ الإنحطاط، فهل تقبلون لفظ الأفول ؟

جواب : إنني أقبل كلمة أفول... لأن الشمس تأفل لكنها تشرق من جديد، أما الإنحطاط فإنه يكون بدون عودة.

وعلينا أن لا ننسى عاملا أساسيا فيما نطلق عليه أفول أوربا، ألا وهو نهاية الواقع الإستعماري، فالإمبراطورية الإنجليزية والإمبراطورية الفرنسية جعلتا من بلديهما قوتين كبيرتين انعكست أهميتها على مجموع أوربا الغربية، كما عرفت هولندا وإسبانيا والبرتغال وبلجيكا نفس الظاهرة الإستعمارية، وكانت البطالة غير موجودة، لأنه كان بالإمكان إرسال أي شخص إلى ما وراء البحار، ولم يكن هناك مجتمع جديد إذ أنه في



حالة إحساس أحد بعدم الإرتياح في بلده كان يتم إيفاده إلى الهند مثلا لتغيير أفكاره كما هو الشأن بالنسبة لصديقنا تشرشل، بينما يتمُّ إيفاد آخرين إلى جهات أخرى من أجل تجريب حظهم من جديد، فاختفاء الإمبراطورية الإستعمارية الأوربية نتجت عنه تغيرات عميقة في الوضع الداخلي لكل من هذه البلدان، وما كان لإشكال عنف مثل (الهوليكانس) في بريطانيا والألوية الحمراء بإيطاليا أو الإنتفاضات اليسارية بفرنسا وألمانيا الفيدرالية أن ترى النور في ظل مثل هذه الإمبراطوريات، لأن الإمبراطورية الإستعمارية كان بالإمكان استعمالها في هذه الحالة كمصب لهذه الطاقة الإضافية، فأفول أوربا له إذن أسباب أخرى أعمق من الصدمتين البتروليتين أو الإختلالات النقدية التي نعرفها.

سؤال ــ لكن ربما هناك علاقة بين تصفية الإستعمار وأزمة الطاقة، وربما لا تقع هذه دون وقوع تلك ؟

جواب : يمكن تصور ذلك إذا ما وضعنا هذه الأحداث في سياق الأبراج الخاصة بالتاريخ، إنه حدث يجر أحداثاً أخرى يمكن أن تظهر على أنها هي السبب، في حين أنها ليست في الواقع سوى النتيجة.

سؤال ــ أثرتم حالياً الدورة الشمسية ثم الأبراج، فهل تعتقدون أنه بإمكان أوربا أن تنطلق من جديد ؟

جواب : أعتقد أنه إذا أردنا أن نتحدث عن أفول أوربا فإن الأمر لا يتعلق بأفول فكري ولكن بأفول مادي، يجب على أوربا أن تبرهن على أكبر قدر من سعة الخيال.

لقد اعتادت أوربا أن تعيش في اتجاه واحد : آخذ ولا أعطي شيئاً.

إن هذا لا يشرف ماضيها ولا حاضرها، فهي غنية بتاريخها وبتقاليدها، وتتوفر اليوم على معطيات علمية وتكنولوجية وبشرية هائلة، لذلك من واجب أوربا أن تعطي، لأنها قادرة على ذلك، أفكر بطبيعة الحال في دول العالم الثالث، فأوربا أخذت منا الكثير وعلمتنا الكثير، ولذلك فنحن مدينون لها، ولكن عليها أن تنظم نفسها، وهنا نصل إلى موضوع السوق الأوربية المشتركة لكي تكون أكثر قوة وتفتحاً على الخارج فهي تبدو منطوية على نفسها.

أعتقد ــ وأخشى أن أكرر ما قلته ــ إنه إذا لم تبذل أوربا الجهود الضرورية في التفكير من أجل تفتح وسخاء أكثر تجاه الخارج فإن أفولها سيحتد، وأقول ذلك كله بكل مرارة.

سؤال ــ هل تشكل فرنسا حالة خاصة بالنسبة لكم أم أنها تمثل جزءاً من الكل ؟

جواب : أرى لفرنسا مصيراً خاصاً وهذا بعيداً عن كل ذاتية، نحن مدركون بأن فرنسا تقود الحوارات الأوربية والشمالية والجنوبية، والأوربية العربية، والأوربية الإفريقية، إلا أن فرنسا توجد حبيسة عدة التزامات، إذ يجب عليها أن تحل مشاكلها الداخلية وخاصة مشكل التشغيل، وهي في نفس الوقت مضطرة لتأخذ بعين الإعتبار كونها من الدول التي دعت إلى قيام أوربا المنظمة، لذلك لا يمكنها أن تعمل وحيدة، وفي كل مرة كانت تحاول فيها الخروج من الصف كان يدفعها التضامن الأوربي إلى الرجوع إليه، وعلى كل فإن فرنسا على الصعيد الدولي لا تعيش متناقضات، ولكن تجاذبات مؤلمة، فهي عضو في الحلف الأطلسي دون أن تنتمي إليه، وتتوفر على قوة نووية يمكنها أن تستعمل لفائدة أوربا الغربية ــ بل ولفائدة الولايات المتحدة إلى حد ما ــ

إلا أنها ترفض أن تعد من بين القوى النووية الغربية، وهذه التجاذبات تلائم المزاج الفرنسي، ومع ذلك فإن فرنسا لن تكون هي فرنسا إذا عاشت بدون هذه التجاذبات التي تأخذ وجودها من تاريخها.

سؤال ــ تطرقتم بكيفية عابرة للقضايا العسكرية، وفرنسا هي الدولة الوحيدة بأوربا الغربية التي ما زالت تتوفر على الإرادة والقدرة على التدخل عسكرياً خارج أوربا، فهل تعتقدون ــ دون اتخاذ أي موقف بالنسبة لقضايا خاصة مثل التشاد أو غيرها ــ أنه يجب علينا أن نستمر على هذ النهج.

جواب : سنستعمل طريقة استقرائية مخالفة، ما كانت المملكة المتحدة لتتدخل أبداً بمثل هذه الطريقة.

سؤال ــ اللهم إلا بالنسبة لجزر المالوين، ولكن تلك حالة خاصة نوعاً ما ؟

جواب : بريطانيا لديها مجموعة الكومنويلت التي تقوم على الصعيد الستراتيجي بدور وقائي ولا أقول علاجي، فإذا حدث أن هاجمت غداً إحدى الدول غانا أو أي عضو آخر ضمن مجموعة الكومنويلات فلا أحد يدري ما قد تفعله الحكومة البريطانية، ويمكن أن تظهر فرنسا بمظهر الدولة التي تتدخل خارج حدودها لأنها لم تعرف كيف تنظم رابطة بالتعاون مع حلفائها، فإذا كانت فرنسا قد وقعت اتفاقيات مع بعض الدول الافريقية أو غيرها فإن عليها التزامات لا يمكنها أن تتملص منها، ان تلك الإتفاقيات ثنائية وبما أن محتواها غير معروف فكيف إذن يمكن معرفة مدى الإلتزامات الفرنسية، فلو كانت تلك الدول مندمجة في إطار عام أو ضمن اتحاد لكان من السهل معرفة ما إذا كانت فرنسا تجاوزت حقوقها أم لا، لكن أعتقد أنه على فرنسا أن تحترم الإتفاقيات التي وقعتها بغض النظر عن حكومتها القائمة، وهذا ما وقع بالفعل في عهد فرانسوا ميتران.

سؤال ــ هل تأسفون لغياب منظمة واضحة المعالم ؟

جواب : لا، خصوصاً وأن المغرب لن ينتمي إلى هذه المنظمة، وليس قصدي أننا لا نرغب في إبرام اتفاقيات مع فرنسا بل نرفض الإندماج في إطار من هذا القبيل، ومع ذلك يبدو لي أن ذلك سيجعل الأمور أكثر وضوحاً والنتيجة أكثر ردعا.

سؤال ــ وإذا تخلت فرنسا يوماً ما عن التزاماتها في افريقيا، فهل تعتقدون أن ذلك سيحدث وضعاً غير سار بالنسبة للجميع، أقصد بالنسبة لأوربا وأفريقيا على حد سواء ؟

جواب : بالتأكيد وفي المقام الأول بالنسبة لفرنسا التي ستبدو وكأنها تأخذ بالفعل بما جاء في قول قانوني مأثور (انه لا يجوز إعطاء الشيء وأخذه).

يبدو لي من الصعب أن نترك الشركات المتعددة الجنسيات تأخذ من افريقيا ما هي في حاجة إليه دون إعطاء أي مقابل، إن فكرة التواصل قائمة، كما أن حركة التبادل قد أقيمت منذ أمد بعيد وشهدت تطوراً ملحوظاً.

سؤال ــ أعتقد أنه حان الوقت للتطرق إلى موضوع ترشيح المغرب للإنضمام إلى المجموعة الإقتصادية الأوربية، فخلال الندوة الصحفية التي عقدتموها في مارس سنة 1985 قيل : انكم تعتقدون أنه إذا رفضت أوربا حالياً إدماج دول المغرب العربي فإنها ستتوجه إلى هذه الدول في ظرف لا يتعدى 15 سنة، كما كتبتم بنفسكم أن أوربا التي لا تتوفر على عمق ستراتيجي ستكون يوماً ما في حاجة إلى منطقة خلفية لبسط نفوذها، وأضفتم يا جلالة الملك في الختام أن دول أفريقيا الشمالية التي يوجد المغرب في مقدمتها ستشكل العمق



الستراتيجي لأوربا بفضل النفط الليبي والحوامض المغربية والغاز الجزائري، وشخصياً أجد أن هذه الملاحظات بالغة الأهمية، هل بإمكانكم تعميق تحليلكم ؟

جواب : بإمكاني أن أشرح ذلك، فعندما تحدث الجنرال دوغول عن أوربا من المحيط الأطلسي إلى جبال الأورال لم يكن ذلك إلا من باب المزاح، لأنه لا يمكن توحيد شيء غير قابل للوحدة، إذ سيتطلب ذلك أن يصبح الكوميكون هو السوق الأوربية المشتركة والعكس بالعكس، وهذا ما يجري تقريباً داخل الجامعة العربية أو في منظمة الوحدة الإفريقية حيث تسود الرغبة في أن تتخذ دول ذات أنظمة اقتصادية واجتماعية مختلفة تمام الإختلاف مواقف موحدة وآراء متطابقة، اللهم إلا إذا اقتضى الأمر أن تداس الدول الإشتراكية أو كل الدول الليبرالية في أوربا.

والعمل السياسي يقتضي أن يتجاوز المرء ببعد نظره الحاجز الذي يواجهه والنظر إليه من الأعلى، ان أوربا يواجهها جدار من جهة الشرق، كما يحدها غرباً وشمالاً المتوسط والأطلسي وبحر الشمال، وإذا ما التفتت نحو الجنوب فلن تجد إلا البحر الأبيض المتوسط الذي لم يعد ذلك البحر الذي عهدته منذ عصر النهضة على الأقل، بل أصبح بحيرة ومنطقة مألوفة لديها وتعرفها أي منطقة لا يمكن إلا أن تلائمها.

إن أوربا في حاجة إلى منطقة خلفية، وإذا لم تبحث عن هذه المنطقة فستصبح محاصرة، وهكذا يتعين عليها أن تبحث عن مواردها الذاتية، وإذ ذاك لن تتجه إلا صوب الجنوب، لأن الجنوب وحده هو المفتوح أمامها أي البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء، أما الشرق فهو مغلق في وجهها في الوقت الراهن وسيظل كذلك.

سؤال — لكن، هل تتصورون هذا عن طريق انضمام حقيقي للسوق الأوربية المشتركة بالنسبة للمغرب في الوقت الراهن على الأقل، لأننا نتحدث تارة عن المغرب، وتارة عن شمال أفريقيا، وتارة أخرى عن المغرب العربي، غير أنني أستطيع أن أقول : لا يوجد حالياً المغرب العربي، فهل يشكل ذلك بالنسبة للمغرب العربي وسيلة لإبراز الوجود.

جواب : لا، لأنه إذا أردنا قيام مغرب عربي فيجب أن يقوم بذاته وإلا فإن كل تقارب سيكون مصطنعا.

سؤال — بما أنكم متفائلون، فهل تعتقدون أن الوحدة ستحقق تقدما خلال العشرين أو الثلاثين سنة القادمة ؟

جواب : أعتقد أنه خلال الثلاث سنوات القادمة سيكون بإمكاننا فعل الكثير.

سؤال — إن دولا أخرى تقدم ترشيحها للإنضمام إلى السوق الأوربية المشتركة كتركيا على سبيل المثال، وإذا تحتم الإختيار بين المغرب وتركيا، وهذا من الناحية النظرية بالطبع، فهل تعتقدون أن ترشيح المغرب سيكون أسهل من ترشيح تركيا ؟

جواب : في حالة إذا ما سلمنا كما قال بيسمارك ذلك بكون الجغرافية هي وحدها العنصر الثابت في متغيرات التاريخ أعتبر أن شمال أفريقيا هو أكثر أهلية من تركيا للإنضمام إلى المجموعة الإقتصادية الأوربية.

وهذا لا يعني أنني أعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوربية المشتركة، لأن ذلك ليس شأني، غير أن



المتطلبات الجغرافية تلزم تركيا بالإلتفات يميناً وشمالاً، أما المغرب فليس له الإختيار، فإذا انضم المغرب غداً إلى السوق الأوربية المشتركة وأعربت تركيا عن رغبتها في الإنضمام إلى السوق أو سبقتنا في ذلك فإن المغرب البلد الإسلامي سيكون أول من يبتهج لذلك.

سؤال — هل تعنون يا جلالة الملك أن تركيا تنظر إلى اتجاهين ؟

جواب : إنها مضطرة لكي تعيش أن تنظر يمينا وشمالا معاً، أما نحن فأمامنا أوربا وخلفنا إفريقيا.

سؤال — إن افريقيا الواقعة جنوب الصحراء توجد في حالة مزرية فكيف تتصورونها بعد عشرين أو ثلاثين سنة ؟

جواب : أظن أن من بين الأمور التي يتعين على أوربا أن تقوم بها لفائدة إفريقيا هو إنصافها أمام التاريخ، فعندما نلقي نظرة على خريطة إفريقيا تكتشف أن معظم حدودها تم رسمها بالمسطرة، فلم تقم أية قوة من القوى المستعمرة بأخذ المجموعات العرقية بعين الإعتبار، وهكذا وبجرة قلم تم تفريق ما كان غير قابل للتفريق أي العادات وروابط القرابة والقنوات التقليدية للتبادل والرعي والتجارة.

وحينما نتحدث عن إفريقيا يتعجب البعض بصفة من روح القبلية فيها، في حين أن القبلية من صنع الإستعمار، والأفارقة في فترة من فترات أريحيتهم في سنة 1963 كرسوا مبدأ عدم المساس بالحدود الموروثة عن الإستعمار.

وإذا لم يفكر الأفارقة — وأقولها مع كل الإحترام الذي أكنه للدول الواقعة جنوب الصحراء ولقادتها — في أحوالهم فإن إفريقيا خلال الثلاثين عاما القادمة لن تكون في مستوى مسؤولياتها القارية والإنسانية.

سؤال — مع الأسف فإن التفكير الذي تأملونه ليس قائماً أو على الأقل هو قائم على مستوى التمنيات.

جواب : إننا نجد أنفسنا في إفريقيا أمام الظاهرة التالية :

كل قائد تاريخي يعمل على تحقيق الإستقرار لبلاده حسب طريقته مما يفرض وجود هذا البلد واحترامه والإنصات إليه.

فإذا غاب هذا القائد فإن الذين يخلفونه يتطاحنون فيما بينهم أو يرفضون الهياكل القائمة، والنتيجة هي عدم الإستقرار الدائم، وإذا كان الجمود ليس في صالح الدول فإن عدم الإستقرار هو أيضاً ليس في صالحها.

إذاً، ما هو أمل إفريقيا ؟ إن أملها في أجيالها الصاعدة التي تدرس في باريس أو لندن أو في جهة أخرى أو في الولايات المتحدة أو برلين أو روما أو مدريد، فهل يا ترى ستؤخذ مأخذ الجد ؟ وهل ستنظر هذه الأجيال الجديدة إلى ما ستجده قائماً ؟

إن إفريقيا تعرف بدورها مشكلة التعايش بين القديم والحديث، وأتمنى ملء فؤادي النجاح لهذه النخبة الجديدة، فدول إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء والواقعة في شمالها متداخلة فيما بينها ولو على صعيد الروابط الدموية والأصناف، وبدون هذه العناصر لن تكون لافريقيا الشمالية الفعالية اللازمة لكي تشكل بالفعل منطقة عبور بين أوربا ودول إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

سؤال ــ مع الأسف لا أدري الكثير من المؤشرات التي تبعث على التفاؤل ؟

جواب : ولكن علينا أن نكون متفائلين لأنه بدون تفاؤل لا يمكن لرئيس دولة أن يفعل أي شيء، فلا يمكن للمرء أن يستكين ويذرف الدموع، إنني إنسان متفائل.

سؤال ــ وماذا عن الوضع في جنوب افريقيا.. جلالة الملك ؟

جواب : في بعض الأحيان يفيض الكيل، فالسكان البيض في جنوب إفريقيا يقولون : «نحن المنحدرون من سلالة (البورز) » لا نعرف إلى أين نتجه ؟ ففرنسا عند الجلاء قامت بترحيل رعاياها، نحن (البورز) أين تريدون منا أن نذهب ؟ فهذا السرد للوقائع يمكن قبوله على المستوى الإنساني حتى ولو أضافوا إلى ما قالوه : أفهمونا، إننا مضطرون للمقاومة حتى الموت، فهذا ممكن، لكن لا يمكن بتاتاً قبول نظام الميز العنصري، إنهم لا يرغبون في الرحيل إلا لأنهم يقومون بكل ما يلزم من أجل الموت في عين المكان، فإذا لم يموتوا جسدياً فإنهم سيموتون من جراء العزلة، ولحسن الحظ فمنذ وقت قصير تمَّ الترخيص لرجال الأعمال السود بفتح متاجر والإقامة والإستثمار بمدن كان دخولهم إليها إلى ذلك الحين محظوراً كدوربان وجوهانسبورغ، أقول : انه في الوقت الذي يتدخل فيه عنصر المال فإن كل شيء يصبح منظماً.

سؤال ــ أن تكون الرأسمالية الدولية لحد الآن نشيطة بما فيه الكفاية، فربما ذلك أحسن ما يبعث على التفاؤل ؟

جواب : إن المال فساد كل نظرية وكل نظرية قاسية ودكتاتورية.

سؤال ــ لقد استقبلتم مؤخراً السيد أمين الجميل، لقد كان لبنان المثال الوحيد لحكومة متعددة الأجناس ؟

جواب : ومتعددة الطوائف الدينية.

سؤال ــ للأسف فإن هذا النموذج قد انهار في رأي جلالتكم، ألا يوجد هناك تشابه بين مشكل جنوب إفريقيا ومشكل لبنان ؟ هل يمكنكم أن تتصوروا على مدى جيلين حكومة تعايش بمعنى حكومة مشكلة من البيض والسود في جنوب إفريقيا ؟

جواب : يمكن تصور ذلك، ان حظ السكان البيض بجنوب أفريقيا هو أنه لا يوجد لديهم بلد يمكنهم العودة إليه، فلو كنت منتمياً لطائفة البيض في جنوب أفريقيا لحاولت بواسطة أحسن الطرق أن أتجاوز حدود جنوب افريقيا وخلق أقليات لا أقول فعالة ولكن تحظى بالإحترام وتعمل بكد وجد بالبلدان المجاورة.

ليس المهم هو أن يكونوا جنوب إفريقيا، ولكن أن يكونوا جنوب إفريقيا كأمريكا خارج أمريكا، ويمكنني أن أضيف أنه يلزمنا أن نتبع هذه السياسة لأن وجود جنوب افريقيا قوية ومستقرة ضروري بالنسبة للعالم الحر، وإذا بقيت الأمور على حالها فإني أخشى أن تصبح هذه المنطقة بمثابة مأزق للعالم الحر.

لقد تحدثتم لي عن لبنان، هل تعرفون ما هي مهمة وزير الشؤون الخارجية اللبناني ؟ إنه وزير مكلف بالشؤون الخارجية اللبنانية والمغتربين، فعدد اللبنانيين المغتربين هو تقريباً ضعف اللبنانيين المقيمين في لبنان، وإذا

أمكن للبنانيين الإستمرار في التجارب بشراسة على أرضهم فإن مسؤولية ذلك تعود إلى اللبنانيين المغتربين.

يتعين على سكان جنوب إفريقيا المنحدرين من أصل أوربي أن يرحلوا خارج إفريقيا الجنوبية، إنها الوسيلة الوحيدة بالنسبة لنا نحن الأفارقة المنتمين للعالم الحر للحفاظ على جنوب إفريقيا مقبولة من لدن الجميع وغير عنصرية، فمن مصلحة الجميع أن تجري الأمور في هدوء، إن نظام (الابارتيد) نظام فظيع.

سؤال — إذا سمحت جلالتكم أن تتوقف قليلا عند العلاقات بين الشرق والغرب، لقد تولى السيد غورباتشوف الحكم قبل سنة بالضبط، ومنذ ذلك الحين وقع العديد من الأحداث في الإتحاد السوفياتي، وعززت الولايات المتحدة مبادرتها للدفاع الستراتيجي واستؤنفت المفاوضات في جنيف، ففي هذا السياق كيف تتصورون العلاقات بين الشرق والغرب ؟

جواب : إني ما زلت أتذكر لقائي مع السيد بريجنيف في الإتحاد السوفياتي في 1966 والذي سبق له أن زار المغرب حين كان والدي على قيد الحياة، وكان يجمع بيننا حبنا لكرة القدم، وأصبحنا إذن صديقين، وقلت له : «السيد الأمين العام إني لن أجعلكم أبداً تعتنقون الإسلام»، وأجابني بقوله : «هذا أمر أكيد» وواصلت حديثي معه قائلا : «كما أنكم لن تجعلوا مني شيوعياً أبداً، لأنني أمير المؤمنين، ومع هذا فلاشك أن هناك مسلمين شيوعيين ولكني لا أصدق ذلك كثيراً» إن المقارنة بين العالم الغربي والعالم الشيوعي لا تستقيم، فالعالم الغربي يمثل إن صح القول نادياً، في حين يشكل العالم الإشتراكي السوفياتي معسكراً، فهذا التمييز أساسي، فواجب التضامن يجب أن يتغلب مهما حدث من أمر، ولا يهم أن يكون هذا التضامن تلقائياً أو غير تلقائي، وبصفتي رجل سياسة فإني لا أعتبر إلا بالنتائج.

والواقع أن السيد غورباتشوف أتى بأسلوب جديد وسأكون جد متشوق للقائه، أما إذا كان هذا التجديد ليس سوى أسلوب فقط أو أنه يمس عمق روح الروسيين فهنا يكمن الغموض، فحينما يستقرىء المرء تاريخ روسيا فإنه يصعب عليه جداً تتبع سلالة دولة القياصرة، فما بعد جيلين هناك قطيعة وتتحول الخلافة إلى أحد الأقارب فأساليب الخلافة تغيرت منذ عام 1971 لكن النتيجة واحدة، فلابد أن ينظر إلى الروح الروسية دائماً بعين الإعتبار، فكتاب (النومنكلاتور) يؤكد أن لا شيء قد تغير.

سؤال — إذن في نظر جلالتكم العامل الروسي أهم من العامل الشيوعي ؟

جواب : نعم، وبدون شك.

سؤال — هل تأخذون مأخذ الجد خطر اندلاع حرب عالمية ثالثة ؟

جواب : إذا أمكن القيام بالحرب مع منع الأسلحة النووية فإنني أتوقع في ذلك اليوم نشوب حرب عالمية ثالثة.

سؤال — إذن ألا تمثل إزالة الأسلحة النووية بالضرورة فكرة جيدة ؟

جواب : أجل، فمن سنن الحياة أن تكون هناك نزاعات لأنها تدرب الشعوب على الحرب وتجعل الإنسان يشعر برجولته.

سؤال — إن كل نزاع في أوربا حتى ولو تم الإقتصار فيه على الأسلحة المسماة بالتقليدية سيكون



مدمراً، فالحرب الكونية الثانية كانت دامية بشكل فظيع.

جواب : هذا صحيح، لأنه كان هناك الكثير من الرجال المسلحين، ثم إن الأسلحة التقليدية تتطاير شظاياها كالقنابل الإنشطارية، إلا أن خطر السلاح النووي لم يكن قائماً، فلو وقعت غداً حرب عالمية ثالثة تستعمل فيها أسلحة تقليدية فلن يصيبني الهلع، ولكن في حالة وقوع حرب نووية ففي كل لحظة ستتساقط علينا قنبلة ذرية وذلك بالنظر إلى موقعنا الجغرافي.

سؤال ــ هل ما زالت الإيديولوجيا الإشتراكية تفيد إفريقيا والعالم الثالث ؟

جواب : إن الحركات المسماة بالتقدمية والثورية كانت تشكل بالنسبة إليها أفضل ذريعة للقيام بانقلاب، فالإيديولوجية الاشتراكية ما زالت صالحة في الوقت الراهن إلا لكونها تمثل عملة قابلة للتحويل بالنسبة لأولئك الذين يريدون زعزعة استقرار البلدان، أن يحذو هؤلاء التقدميون حذو موسكو ويحدثوا الجامعات كجامعة باتريس لومومبا أو يضعوا بمركبة فضائية كطراز سيوز في مدارها فهذا مفيد، لكن أن يستعملوا الإشتراكية من أجل سجن الأشخاص وإقامة نظام الحزب الوحيد ودون أن يكون لديهم مسرح من نوع (بولشوي) ولا متحف مثل متحف لينيغراد فبدون هذا كله أقول لا.

سؤال ــ ألا يبدو لكم أن المنافسة الأمريكية السوفياتية أصبحت شكلا من أشكال التنافس في العالم الثالث ؟

جواب : من قبل كانت المنافسة تتم دائماً لصالح الإتحاد السوفياتي، لكن بعض التجارب النموذجية أثبتت فيما بعد أن هذه الحقيقة لم تكن دائماً قاطعة، فالعالم الغربي لا يسجل اليوم نقطاً إضافية، بل ان الإتحاد السوفياتي هو الذي يسجل نقطاً أقل.

سؤال ــ خاصة في إفريقيا ؟

جواب : في إفريقيا، ولكن أيضاً في الشرق الأقصى.

سؤال ــ يحتل السوفيات أفغانستان منذ ست سنوات، كما أن الوضع في الهند الصينية مال منذ 1975 ؟

جواب : نعم، غير أنني أعتقد أنه لو لم تكن قضية واترغيت لكسب الأمريكيون حرب الفييتنام.

سؤال ــ ومع ذلك كانت هناك قضية واترغيت ؟

جواب : نعم، واترغيت كان وراءها عميلان سوفياتيان.

سؤال ــ جلالة الملك، إن الحروب تخسر دائماً من الداخل ؟

جواب : أكيد، فحرب أفغانستان خطيرة على الإتحاد السوفياتي، إنه لم يدخل غمار الحرب حتى الآن بكيفية مباشرة، فأفغانستان هي الفييتنام بالنسبة له، فهل سيكسب الاتحاد السوفياتي هذه الحرب أو يخسرها ؟ هذه مسألة أخرى، ولكن هذه الحرب ستؤثر سلبياً على سمعته.

سؤال ــ تشكل الفلبين الآن موضع الساعة، فهل تتراءى لكم منطقة محتملة لعدم الإستقرار ؟



جواب : إن الولايات المتحدة قد أقامت في هذا البلد اثنتين من أكبر قواعدها العسكرية، غير أن البلد الوحيد الذي بعث ببرقية تهنئة للرئيس ماركوس بمناسبة إعادة انتخابه هو الإتحاد السوفياتي.

أمر غريب أن تكون الفلبين أرضية أمريكية تباركها موسكو، وهو خطير جداً بالنسبة لستراتيجية العالم الغربي.

سؤال ــ هل تعتقدون أن السوفيات سيستغلون هذه الأزمة الداخلية للتدخل في شؤون هذا البلد ؟

جواب : إنهم سيحاولون القيام بذلك، فسياسة أصدقائنا الروس بسيطة، إذا وجدوا أمامهم حائطاً اتكأوا عليه، فإذا هو انهار فذلك هو المبتغى، وإذا لم ينهر فإنهم لن يخسروا شيئاً

سؤال ــ جلالة الملك، سأطرح عليكم سؤالا محرجاً، ما هو رأيكم في الإرهاب الدولي ؟

جواب : لماذا هو سؤال محرج ؟

سؤال ــ لأنني أريد أن أعرف رأيكم في دور العقيد القذافي بهذا الشأن ؟

جواب : بالنسبة لي ليس هناك أي سؤال محرج، هناك مبادىء يجب احترامها، فأنا ضد الإرهاب الدولي.

وتتهم العديد من الدول ليبيا والعقيد القذافي بالوقوف وراء الإرهاب الدولي، ومن هذه الدول على الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية التي استحوذت عليها هذه الفكرة، ليس هناك ما يثبت حتى الآن ذلك، فلو كان العقيد القذافي إرهابياً لكنت أول من يدينه، وبما أنه ليس إرهابياً، فلا أرى داعيا لأن أكون أول من يقف ضده، وأقول ذلك بصريح العبارة، ولكن لو كان إرهابياً لأدنته.

سؤال ــ قلتم ان الإتهامات التي مفادها أن العقيد القذافي يقف وراء العديد من العمليات التي تدخل في إطار الإرهاب الدولي لا ترتكز على أساس ؟

جواب : لا أقول انها لا ترتكز على أساس، بل أقول انه ليس هناك ما يثبت صحتها، الجميع يقول : انه مسؤول وهو نفسه لا يقوم بأي شيء لنفي ذلك، فالعقيد معمر القذافي في قرارة نفسه يكون جد سعيد أحياناً عندما يثار حوله الحديث وهو لم يقم بأدنى شيء.

سؤال ــ هل ترون أن الارهاب الدولي له مدلول خاص في الوقت الراهن، فقد كان موجوداً دائماً، ولكن هل يتطور ؟ وماهي أسبابه العميقة ؟

جواب : منذ قريب أجريت تحاليل نفسية للأشخاص ولم تجر للدول، وهذا ما لا أوافق عليه، فلم نقم في وقت من الأوقات بتحليل نفسي للدول، فعندما نفرض على دول مثل ألمانيا أو اليابان أن تكون مجردة من السلاح وألا يكون بمقدورها القيام بالحرب، فإننا نجعل منها دولا منطوية على نفسها، فلكل بلد شرفه ولكل أمة عقد.

سؤال ــ دائماً نفس الحاجة إلى الخصومات المحققة للخلاص.

جواب : نعم، فوظيفة الإرهاب كانت من قبل هي أن يظهر المرء وبالكيفية الأكثر دناءة معارضته لأمر من الأمور، والإرهاب الحالي موجود دون أن يكون شكلا للتعبير، فالإرهاب لا يحارب شيئاً ولا يطالب بشيء،

فهو إرهاب مجاني، لقد كنت في باريس عندما انفجرت قنبلتان : واحدة في أروقة (لافييت) وأخرى في أروقة (لوبرانتطان).

وقد انفجرت القنبلة الأولى مباشرة بعد خروج بنتاي منها، فقد كانتا تهمان بركوب السيارة، وتساءلت حينها ما ذنبهما وما ذنب جميع الأطفال الآخرين وجميع الأشخاص الآخرين ؟ إن الإرهاب لا يقوم به إلا الجبناء، فماذا يخشاه المرء عندما يضع حقيبة في مكان ما ويعمل على تفجيرها بواسطة جهاز للتحكم عن بعد 300 متر، إن مثل هذه الأعمال تعلم الجبن في المجتمع، لقد كان المجتمع متساهلا إلى أبعد الحدود مع الإرهاب، فقد أطلق سراح أول قرصان جو، انه الفتيل الذي أشعل برميل البارود.

سؤال ــ لقد تحدثتم وأعتبر هذا من الأهمية بمكان عن ألمانيا واليابان، لكن ماذا يمكن القول عن الإرهاب الفلسطيني، وهل تعتقدون أن المشكل الفلسطيني أو بالأحرى عدم وجود حل لهذا المشكل يشكل سبباً دائماً للإرهاب.

جواب : للأسف نعم، في سنة 1983 صرحت خلال ندوة صحفية عقدتها بالولايات المتحدة بما يلي :

«انتبهوا، إننا سنجد أنفسنا بعد عشر سنوات في دوامة من الإرهاب الدولي لا مبرر له والذي لن نستطيع احتواءه، لأن الشباب والأطفال الذين ترعرعوا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وعددهم 500 ألف والذين يعيشون في تكدس تام، إن هؤلاء، الشباب والأطفال الذين يتعلمون اللعب ببنادق الكلاشنيكوف الخشبية أو القنابل عندما يبلغون سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة فإن شرطة العالم أجمع لن تستطيع رصدهم، لأنهم لن ينتموا لأية حركة إنهم سينتقمون لأنفسهم وسيغتالون كل من صادفوه».

سؤال ــ صاحب الجلالة، لقد قمتم بالعديد من المبادرات بشأن النزاع العربي الإسرائيلي، وقد تجلى ذلك على الخصوص في مؤتمر القمة العربي بفاس وأيضاً عندما صرحتم مؤخراً وبشجاعة كبرى أنكم لا تستبعدون لقاء مع شمعون بيريز إذا ما توفرت أرضية جديدة للانطلاق، هل تعتقدون أنه سيتم التوصل إلى حل لهذا النزاع خلال السنوات القادمة ؟ أو أن هذا النزاع سيصبح مثل النزاع الإيرلندي الذي مازال مستمراً منذ أزيد من ثلاثة قرون ؟

جواب : في ظل الظروف الراهنة فإن هذا النزاع لا يمكن من حسن الحظ ومن سوء الحظ معا تشبيهه بالنزاع الإيرلندي، فإذا لم يتم حله في أقرب وقت فسينتهي بما لا تحمد عقباه، فلا يمكن أن يستمر إلى الأبد.
وفي النزاع العربي الإسرائيلي هناك العديد من العناصر المتحولة حيث ان المرء يخشى في كل خطوة يخطوها أن يمر على لغم.

هناك النزاع العراقي الإيراني والمشكلة العويصة للأقليات العرقية والدينية في العراق وسوريا والأردن ولبنان، ومن جهة أخرى تقوى المذهب الشيعي ويصعب جداً إيقاف مده، والأدهى من ذلك أن مصير أوربا والعالم فيما يتصل بالطاقة مهدد، إنها أرضية مزروعة بالألغام، ولا نعرف أي الطرق يجب سلوكها أمام هذا الوضع.

سؤال ــ ولكن يظهر لنا في بعض الأحيان أننا لم نكن أبداً أقرب إلى الحل مما نحن عليه الآن ؟

جواب : نعم، ولكن لا أحد يريد القيام بالخطوة الأولى، فأنا أتحدث إليكم بوصفي رئيس دولة عربية لبلد تحمل مسؤولياته وألتزم بالتضامن العربي الذي يقره ميثاق الجامعة العربية، غير أن إمضائي لا يلزم أحداً،



إذ يمكنني أن أقرر غداً التخلي عن الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان، لكنه لا يمكن مع هذا أن تغمط ممتلكات وحقوق الغير، ألا ترون أنه من غير المقبول أن يظل العرب والإسرائيليون حتى الآن يتفاوضون عن طريق الوسطاء، أنا لا أشك في حسن نيات ونزاهة هؤلاء الوسطاء، ولكن ألا يجب علينا أن نتحرك بذاتنا.

العرب يتوفرون على قاعدة جيدة للإنطلاق وإطار معترف به على الصعيد الدولي ألا وهو مخطط فاس، فلماذا لا يتم انتداب واحد من القادة العرب يرى فيه الجميع الشخص الأكثر نزاهة وجدية ويقولون له اذهب إلى شيمون بيريز ومعك مخطط فاس واسمع منه شخصياً رفضه لجميع النقط وأطلعنا على الأمر، سنكون جد سعداء بمعرفة ذلك، وأعتقد أن المسألة ستكون حاسمة بالنسبة للمجتمع الدولي وبالنسبة لنا نحن العرب، فمخطط فاس مهم فهو يتضمن الإعتراف بإسرائيل، فإذا وفقنا بينه وبين مخطط ريغان خصوصاً وأن المخططين غير متعارضين، فإن حظوظ إيجاد حل لهذا النزاع قد تزداد، فليس من العيب أن يتناقش المرء مع عدوه، بل العيب كل العيب هو أن يفر المرء ويترك وراءه أشخاصاً وممتلكات، فيجب على المرء أن يتناقش مع عدوه لمعرفة ما إذا كان الأمر يتطلب الإستمرار أو التوقف، لأنه من الضروري بالنسبة للمرء أن يتوقف يوما سواء في حالة الإنتصار أو الإنهزام أو التعب التام، فإذا قال رئيس دولة عربية محترم ونزيه لنظرائه العرب : إنني قوبلت من طرف بيريز بالرفض فإن إسرائيل ستكون إذ ذاك في موقف حرج، بينما نجد اليوم الإسرائيليين هم الذين يطالبون بالمناقشة ولو على مستوى رئيس دولة فلابد في يوم ما أن تكون لنا الشجاعة الكافية للقيام بهذه الخطوة، وبالطبع فإن المناقشة لن تكون في فراغ وبأي ثمن كان.

سؤال — هل تعتقدون أن هناك حظوظا لقبول هذا المنطق ؟

جواب : إني أؤكد لكم أن القادة العرب مقتنعون بأن الأمر لا يتعلق أبداً في الوقت الراهن بإلقاء الإسرائيليين في البحر، فذلك العهد قد ولى.

سؤال — إن السنوات القادمة ستكون حاسمة ولابد من إيجاد حل وإلا سيصبح الوضع خطيرا بل وأشد خطورة.

جواب : سأشرح لكم لماذا، فسواء بالنسبة للعرب او لإسرائيل إذا لم يتم التوصل لحل مشكلة الأراضي المحتلة في غضون الثلاث أو الأربع سنوات القادمة فإن السلم لن يستتب أبداً في المنطقة، فعندئذ سيصبح سكان الأراضي المحتلة لاهم بعرب ولاهم بيهود بل سيصبحون بدون جذور وسيشكلون خطراً على العالم العربي والإسرائيلي على السواء، ولا أعتقد أن هذا سيحدث إذا استعاد العرب هؤلاء السكان، لقد قلت مؤخراً لياسر عرفات إذا لم تستطيعوا قبل خمس سنوات استرجاع أراضيكم فإني لا أنصحكم بالتمسك بهذا الشعب، لأنه لن يكون شعبكم، وقد أقول نفس الشيء لمسؤول إسرائيلي، إني لا أقبل أبداً بأن أحكم هؤلاء الناس وأشرع لهم بل سأبتعد عنهم ابتعادي عن الطاعون، لأنهم سيكونون بمثابة السرطان بالنسبة للبشرية أو على الأقل بالنسبة للمنطقة.

سؤال — صاحب الجلالة، غالبا ما تشيرون في أحاديثكم لصراع الثقافات، وأود أن أتطرق لهذه المسألة وبصفة عامة لمسألة الظواهر الثقافية.

جواب : إني لا أومن بصراع الثقافات بل أومن بصراع الحضارات، فخلال مختلف حقب التاريخ حينما كانت تنشب حروب وتمتد من قارة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر فإنها كانت حروبا بين الحضارات.

سؤال ــ ما هو في نظر جلالتكم الفرق بين الثقافة والحضارة ؟

جواب : إن الحضارة هي نمط حياة ودين وبنية اجتماعية ونظام اجتماعي واقتصادي سواء كانت هناك عبودية أو لم تكن وتنظيم سياسي يشكل كلا لا يتجزأ أي عالم متكامل.

والأمر يختلف بالنسبة للثقافة، فلا يمكن للثقافات أن تتصادم، فهي لا تتصادم إلا إذا اعتبر الجهلاء أنفسهم مثقفين، فالإنسان المثقف هو قبل كل شيء ذلك الشخص المتفتح على كل شيء، إن الإنسان المثقف هو إنسان يتعايش، يأخذ ويعطي، في حين أن صراع الحضارات هو واقع تاريخي، لقد انهارت امبراطوريات وكانت آخر حضارة بادت هي حضارة الإمبراطورية الرومانية التي انقرضت بفعل المسيحية.

سؤال ــ هل يعرف العالم في الظرف الراهن صراعات من هذا القبيل ؟ وهل توجد اليوم مواجهات بين الحضارات ؟

جواب : بكل صراحة لا أرى ذلك، إن القارات عند نهاية تكوين الكرة الأرضية لم تعد تظهر، وكذلك الحضارات، ويبقى أن رجال الثقافة هم الذين يعملون على تحقيق التعايش بين الحضارات، لأن الثقافة تمد الجسور بين الحضارات.

سؤال ــ ألا يوجد اليوم تصادم بين الحضارات بين الشرق والغرب وبين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ؟

جواب : لا، بتاتا.

سؤال ــ وفيما بعد، في حالة ما إذا ارتقت الصين إلى مصاف الدول العظمى.

جواب : إذا حدث ذلك فإن الصين لن تصعد وحدها بل سيرافقها كل أولئك الذين يحيطون بها.

سؤال ــ هل تقصدون اليابان ؟

جواب : أقصد كل المحيطين بالصين.

سؤال ــ هل ترون يا جلالة الملك أن الإسلام والمسيحية حضارتان متعارضتان أو أننا ننتمي لنفس الحضارة ؟

جواب : قلت في يوم من الأيام لصديق فرنسي «إن المسيح كما تعلمون كان أول الرافضين»، فأجابني بقوله : «أتوسل إليكم يا جلالة الملك لا تقولوا هذا الكلام لأنه خطير على الكنيسة وعلى الإسلام».

إن المسيحية ليست دينا بل هي إن شئتم الديانة العبرية في حالتها الأصلية، إذ انه ليس لها عبادة خاصة، فالصلاة التي تؤدي خلال القداس لم يأت بها المسيح، فالمسيح لم يزد على أن قال لليهود : عودوا إلى سواء السبيل، فهو لم يأت بجديد، اللهم إلا ماكان من إضفاء الطابع الأخلاقي على الديانة اليهودية، فلهذا فإن المسيحيين ينسون أن مأساة المسيح في نهاية المطاف هي مأساة عائلية، إنهم يلقون باللائمة على المسلمين لكنهم لا يلقون باللائمة على اليهود بقولهم : «يا لهؤلاء اليهود غير الصلحاء الذين قتلوا المسيح الذي كان مصلحا» وانني أقول هذا مع كامل احترامي وتقديسي، لأنني لو لم أومن بالمسيح بصفتي مسلما فلن أكون مسلما..

سؤال — هل السيد المسيح بالنسبة لجلالتكم رسول من بين الرسل ؟

جواب : إنه ليس رسولا من بين الرسل فحسب، بل هو كلمة الله وروحه كما ورد في القرآن الكريم الذي جاء فيه أيضا أن السيد المسيح سيبعث حيا، إنه المسيح بن مريم، فسيبعث حيا لإعلاء كلمة الله، هذا ما نومن به، إننا فوق ذلك نؤمن بأن مريم العذراء لم يمسسها بشر، كما أننا لا نؤمن إلا بيوسف واحد هو يوسف بن يعقوب النبي الذي ذهب إلى مصر، ونؤمن بأن السيد المسيح قد أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، صنع الطير من صلصال وأمره أن يطير بإذن الله فطار، وهذه معجزة لم أقف عليها في الإنجيل، وكل هذا لأقول لكم ان المسيح هو حقا شخصية عظيمة مثل النبي موسى، وإذا لم نؤمن بنبوة موسى وعيسى فلن نكون مسلمين، وهذا يؤمن به حتى الشيعة.

أما المسلمون الأصليون فيعتبرون أيضاً أن الكنيسة في أيامها الأولى لم تكن على توافق مع ما كان ينشده السيد المسيح مع احترامهم التام للحواريين، وإن شئتم فلنقل أننا أقرب إلى البروتيستانت منا إلى الكاثوليك، وهذا ما قلته بالفعل لقداسة البابا عندما التقيت به.

سؤال — أعتقد أنه قدم لكم رده على ذلك.

جواب : لقد قال لي قداسة البابا انه مادام هناك احترام للعقيدة واحترام للمسيح ولأمه العذراء، فإن كل ما يمكن أن أعتقده كمسلم عن المسيح لا يهمه.

سؤال — إذن في اعتقادكم فإن الاسلام والمسيحية يشكلان حضارة واحدة، ولكن ما هو بعد هذه الأصولية الدينية التي كثر الحديث عنها في الوقت الراهن وخاصة بصدد إيران ولبنان ؟ فهل يتعلق الأمر بظاهرة عابرة في التاريخ أو بحركة أكثر دلالة واستمرارية ؟

جواب : كما لا يخفى عليكم أثير موضوع التفاهم بين الديانتين الإسلامية والمسيحية-أثيرت الحروب الصليبية التي يجب أن ننساها نهائيا، فهذه الحروب لم تكن سوى وليدة حدث جغرافي عارض، ذلك أن ما زعم أنه مكان موت المسيح وجد في أرض عربية، ولو كان هذا المكان هو موسكو لما وقعت أبدا الحروب الصليبية.

سؤال — ومع ذلك فقد قامت الإمبراطورية الإسلامية وكانت الفتوحات الإسلامية.

جواب — نعم، ولكن وجب التنبيه إلى أن الاسلام وصل أوربا منْ جهتين، فقد دخلها من الشرق وشمال البحر الأبيض المتوسط وبلغ فيينا كما دخلها عند استقراره في الأندلس والأمران مختلفان تماما.

فلم يحدث أبداً في الأندلس أن تم إحراق شخص مسيحي أو تعرض أي مسيحي للأذى، كما لم يتعرض أي يهودي لسوء المعاملة طوال الحقبة التاريخية التي قضاها العرب في إسبانيا مع العلم أن ثلثي هؤلاء العرب كانوا مغاربة.

فنحن العرب الأقحاح، وقد كان من حسن حظنا نحن المغاربة أننا بلغنا حتى المحيط الأطلسي، ولو لم يكن هذا المحيط لما كان المغرب على ما هو عليه الآن، ولما كانت الحضارة المغربية على ما هي عليه الآن، بل كنا سنهاجر ونصبح من الرحل بالمفهوم التاريخي.

هذه هي الأمور التي أعطت للمغرب وجهه الحالي.



وعلى العكس من ذلك كان هناك الإسلام الذي انتشر عبر طريق الشمال بواسطة قوات الإمبراطورية الإسلامية التي كانت مكونة من أتراك وإيرانيين وأكراد ودروز وحتى بعض الهنود وبلغ حتى فيينا، وكان هؤلاء يذبحون كل من يصادفونه في طريقهم، إن هذا إسلام غير متسامح.

سؤال ــ ولكن ما وقع في عهد شارل مارتيل في معركة بواتيي يعود إلى الإسلام الأول ؟

جواب : لا يخفى عليكم أن عدداً من المؤرخين الثقات اعتبروا أن هذه المعركة لم تقع أبداً، وعندما كنت صغيراً لا يتجاوز عمري عشر سنوات كنت كالجميع أحفظ أنشودة رولان، وكان مدرسي يحدثني عن رولان المسكين الذي ذبحه المسلمون في رونسفو وهو يستغيث بدون أمل، وبما أني تلقيت الرواية من جهة واحدة فإنني تأثرت كثيراً بما وقع لرولان. لكن أستاذي في اللغة العربية قال لي : إن الباسك هم الذين قتلوا رولان، هذه هي الحقيقة ولكن التهمة ألصقت بالمسلمين.

سؤال ــ بالفعل فإن للإسلام صورتين راسختين : الأولى تتعلق بالإسلام المتسامح وهو ما أعتقد أنه من طبيعة الدين، وهناك الإسلام الغازي ؟

جواب : لنعد إلى الأصولية، فقد أحسنتم صنعاً باستعمالكم لهذا اللفظ، ولكن في اعتقادي يجب استعماله بالمقارنة مع كلمة التشدد، فالتشدد الديني شيء والأصولية شيء آخر، وعندما نقول عن شخص انه أصولي فهذا يعني أنه رجل علامة ومتفقه في الدين الإسلامي، أما المتشدد فلا يعدو كونه غير متسامح ومتعصب.

وهكذا فالمتشدد هو الشخص الذي لا ينظر إلا إلى الشكل ويشوه المضمون، أما الأصولي فهو الذي يتعمق في فلسفة كل قاعدة تم وضعها، وكما لا يخفى عليكم فهناك القانون وفلسفة القانون والتاريخ وفلسفة التاريخ، ومن السهل في ديانتنا أن يكون المرء متشدداً أو أصولياً لأن العلمانية غير موجودة، إن الدين هو منهاج حياتنا وهو الذي يحدد أحوالنا الشخصية والتزاماتنا وعقودنا من بيع وكراء وتبادل وتوكيل، بالطبع لقد أتينا بأشكال جديدة، غير أنه إذا تمعنا في قواعد القانون المدني الفرنسي المتعلقة بما كنت أقوله لكم فإنها لا تختلف في شيء عن قواعدنا.

وهكذا فمن اليسير جداً أن يكون مشعوذ أو جاهل من المتشددين، إذ يكفيه أن يكون متشبثاً بالشكل.

وكما تعلمون، يكون من السهل على شخص ما أن يدفع أناساً أميين لتصديقه، مع العلم أن الأميين يشكلون الأغلبية، هناك أشخاص يحسنون الكتابة ومع ذلك يبقون جهلاء.

إنني أصولي، لأنني لا أفرط في أركان ديننا، ولكنني لست متعصباً، وفي اعتقادي أن كلمة متشدد ليست ملائمة لأن الإسلام كل لا يتجزأ، ولذلك يجب استعمال لفظ متعصب أو جاهل.

إن الأصولي يأخذ الإسلام كما هو دون أي تجزيء أو تقسيم، إن الإسلام كل لا يتجزأ يؤخذ كله أو يترك كله، مع العلم أنني أعتقد وكل المسلمين السنيين مثلا يعتبرون أنهم عندما يقولون انهم مسلمون فإنهم يقصدون الإسلام برمته وليس لنا الإختيار إذن نحن الأصوليين.

إن مأساة الشيعة أنه حينما شرع الإسلام في الإنتشار والإمتداد، انتشرت اللغة العربية من الشرق إلى الغرب مما جعلنا نحن مسلمي الغرب نتعلم اللغة العربية وقد واصلنا القراءة والكتابة بالعربية، ومن ثمَّ درسنا



القرآن والحديث بلغتهما الأصلية، وفي المقابل فإن الإسلام الذي امتد نحو الشرق لم يتمكن من تعليم اللغة العربية، وليس هناك إلا بعض المتعلمين أمثال (الملا) الذين يعرفون العربية ومن ثمة يستطيعون تفسير القرآن، وهذا ما هو عليه الحال في إيران.

لنأخذ المغربي أو الجزائري أو التونسي على سبيل المثال، فإنك إذا سألته عن لفظ عربي سيكون بوسعه أن يشرحه لك، ولكنك لن تجد شخصاً من بين مئة يعرف العربية سواء في إيران أو أفغانستان أو باكستان، وهذا يشبه إلى حد ما — لو شئتم — التعاليم المسيحية والقانون الكنيسي لو أنهما لم يكتبا إلا باللاتينية ولم يترجما، وهذا ما يفرض الذهاب عند الراهب لشرح معاني القانون الكنيسي، وقد تصدقونه فيما يذهب إليه، فإذا كان الراهب متعصباً فسيجركم معه إلى أخذ القانون الكنيسي في حرفيته وليس في جوهره.

سؤال — ماذا تعني بالنسبة لكم الثورة الإيرانية ؟

جواب : ما يحدث حالياً يثبت لي أنها ليست ثورة بل تعبير عنيف عن روح انتقامية بل شديدة الإنتقام، إن إيران تدعي أن الإسلام سكنها وسلبها شخصيتها، وكان أول من أطلق هذه الفكرة هو الشاه الذي تحدث خلال تنظيمه الإحتفالات بتأسيس الإمبراطورية الفارسية عن ألفي سنة من تاريخ هذه الإمبراطورية، لكنه نسي خلال هذه الألفي سنة ثلاثة عشر قرناً من الإسلام، إذن فهو لم يتحدث إلا عن سبعمئة سنة من التاريخ، ولم يشر ولو بكلمة واحدة إلى الإسلام، ولهذا السبب لم أحضر الإحتفالات، لقد أعطى الإسلام لإيران مفكريها، إذ قبل دخول الإسلام وباستثناء (بير سيبوليس) لم تكن هناك أية مدينة مشهورة فاصفهان وشيراز وغيرهما تأسست في عهد الإسلام، إنكم لن تجدوا أي مفكر أو فيلسوف فارسي كبير قبل الإسلام، لن تجدوا خلال حكم الإسكندر مفكراً أو طبيباً أو فيلسوفاً فارسياً واحداً، إنهم يكتبون اللغة الفارسية بحروف عربية ويستعملون الكثير من الكلمات العربية، لقد قبلوا الإسلام وأخذوه كما أرادوا ولكنهم رفضوا العربية دائما.

سؤال — إنكم ترون ما يحدث حاليا في إيران على أنه انتقام ولكن ضد من ؟

جواب : ضد العالم العربي الذي فرض وجوده عليهم.

سؤال — وما هو المذهب الشيعي إذن ؟ وهل هناك بعد شيعي حقيقي ؟

جواب : إنه يصعب نوعا ما الإحاطة بالمذهب الشيعي خصوصا أن هناك ثلاثة وتسعين فرقة شيعية منها ما هو معتدل مثل فرقة أغاخان وهي جد متحررة، ومنها فرق متطرفة، منها فرقة الشيعة الجعفرية التي تعد الأقل تسامحا وهي التي اختارها الخميني لكي يجعل منها دين الدولة.

سؤال — هل السياسة هي التي تدفعه لذلك في المقام الأول ؟ أو أن له انشغالات دينية ؟

جواب : السياسة هي الدافع، لأن فرقة الشيعة الجعفرية هي الوحيدة التي تعطي للإمام سلطات أكثر من مطلقة، ولا يمكن لغير الشيعة أن يطبقوها، إنه يملك سلطة التشريع على الصعيدين السياسي والديني، وإذا كان الأمر يتعلق بشخص شغوف بالإمتلاك وسفاح فإنه سيخلق مذهبا شيعيا على شاكلته.

سؤال — وكيف سينتهي هذا حسب رأيكم ؟

جواب : سيكون من الصعب احتواء هذه الحركة لأنها انطلقت الآن، وستستمر لمدة طويلة، كما أنها



بدأت تتعدى نطاق إيران بحيث يمكن أن تنتشر أكثر.

سؤال — إنها تتعدى نطاق إيران ولكنها لم تأخذ بعداً خطيراً، فهل بالإمكان أن يحدث ذلك ؟ وهل هذا يمثل مشكلا حقيقيا ؟

جواب : إنه مشكل حقيقي، ولكنه لا يوجد بالمغرب ولله الحمد، إذ دائماً ومنذ عهد ادريس الأول أي منذ أربعة عشر قرنا خلت كان الملك هنا هو نفس الوقت أميراً للمؤمنين، ولا يمكن لأي أحد أن يشرع مكانه بالإضافة إلى أننا نعمل منذ أربعة عشر قرناً بمذهب واحد هو المذهب المالكي، وكل المغاربة منذ مراحل دراستهم الأولى يحفظون القرآن ويتعلمون أركان دينهم، وهذا ما يعتبر حماية لنا.

سؤال — إلى أي مكان يمكن أن يصل المذهب الشيعي الجعفري ؟ هل بإمكانه مثلا الوصول إلى المملكة العربية السعودية ؟

جواب : إن المملكة العربية السعودية هي الآن في خطر، لأنه توجد حاليا بعض البؤر الصغيرة في منطقة الظهران، والسعوديون أنفسهم يعترفون بذلك، كما أن بعض الفئات من الشعب تعتنق المذهب الشيعي مما يعرض المنطقة للخطر، ولذلك فإن هذه الحركة ستدوم مدة طويلة.

الثلاثاء 28 رجب 1406 — 8 أبريل 1986